وعلى رأينا ان هذا الشرح اقرب الى الحقيقة في تعريف اصل اسم الليطاني القديم. اما اسمهُ اليوناني فلا سبيل الى توفيقهِ على ما كتبهُ اليونان بخصوص نهر لاونترس. والله اعلم ( ستأتي البقية )

# الرتبة البطريركيَّة

## نبذة في اصلها وتاريخها وحقوقها

للاب ميخائيل تامبزيه اليسوعيّ (لاحق بسابق ص ٤٢٣)

في فصل اوَّل توخَّينا بيان اصل الرتبة البطريركيَّة في الكنيسة فاظهرنا ببراهين عقليَّة وادلة نقليَّة ان المسيح لذكرهِ السجود لم ينشئها بنفسهِ اذ لا اثر لها في الانجيل الطاهر وانَّما وضعها الرسل وفي مقدَّمتهم بطرس الصفا لما وجدوا في وضعها من الوسائل الضامنة لحسن سياسة الكنيسة وترقية شؤونها. ولم تكنْ هذه الرتبة في الاصل الَّا سيطرة بعض الكنائس المنشأة في حواضر المدن على كنائس أُخر اخذت عنها الايمان او وقعت في حيِّزها فصارت تحت حكمها. وانَّما امتازت بين هذه المراكز مدينتان كان لهما بعد رومة من الخطر وعظم الشان ما لا يختلف فيهِ اثنان وهما الاسكندريَّة وانطاكية اختارهما هامة الرسل فجعلهما كرسيَّين ممتازين نالا من سمو مقامهِ رفعةً وجلالًا لم يناهما غيرهما من الكنائس المنتمية الى الرسل

وقد خُصَّ اصحاب هذين الكرسيين باسم يتزينون عن سواهم فدُعوا بطاركةً منذ النصف الاوَّل من القرن الخامس. وقد أُطلق هذا الاسم اولًا على الاحبار الرومانيين (١

---

١) سبق في المشرق (٥ : ٤٢٩) ان اسم البطريرك ظهر لاول مرَّة في اعمال المجمع الخلقيدوني وقد وجدناهُ قبل هذا العهد بقليل في المؤرخ سقراط المتوفَّى سنة ٤٤٠ ذكرهُ دون تخصيصهِ باصحاب الكراسي الاربعة (راجع اعمال الاباء اليونان في المجلد ٦٧ ص ٥٧٩) ثمَّ لقب بهِ نسطوريوس المبتدع (ك ٧ ف ٢١). وكان القديس غريغوريوس النزينزي استعملهُ سنة ٣٨٢ في خطبتهِ الوداعية لشعبهِ اشارة الى كبار الاساقفة اجمالاً (راجع اعمال الاباء لمين ج ٣٦ ص ٤٨٦). وقد خصَّصهُ القديس كيرلس الاسكندري بالحبر الروماني قبل المجمع الخلقيدوني في خطبةٍ لهُ اثبت

الى ان شاع اسم البابا فصار خاصًا بنوّاب المسيح على الارض لسيادتهم على الكنيسة جمعاء. وبقي اسم البطاركة للكرسيَّين اللذين دون الكرسي الروماني مرتبةً اعني الاسكندريَّة وانطاكية. هذه خلاصة مقالتنا الاولى

بيد اننا نرى اليوم ان الرتبة البطريركيَّة ليست محصورةً بالكرسي الاسكندري والكرسي الانطاكي بل توفَّر عدد الذين يُرقَّون الى هذا المقام الرفيع فنرى كيف حصل كل هؤلاء على هذه المنزلة الخطيرة وكيف نالت كراسيُّهم هذه الامتيازات السامية

اعلم ان اول من حظي بالرتبة البطريركيَّة بعد الاسكندريَّة وانطاكية صاحبا الكرسيَّين الاورشليمي والقسطنطيني. امَّا توصُّلهما الى ذلك فانهُ يستدعي بعض الايضاح فنقول مباشرين بذكر القدس الشريف

*

(البطريركيَّة الاورشليميَّة) لمَّا اختار الرب مدينة صهيون فقدَّسها ببشارته وتعاليمه وموته وقيامته اضحت اورشليم امّ الكنائس النصرانيَّة والسابقة لهنَّ جميعًا اذ منها خرج الرسل ليطوفوا في اقاصي المسكونة وينشروا ملكوت الله

لكنَّ نبوَّة المسيح عن هذه المدينة لم تلبث ان تمَّ بالحرف (لوقا ١٩: ٤٢—٤٤) فانها اذ لم تعرف وقتَ افتقادها احاط بها اعداؤها بمترسةٍ وضيَّقوا عليها وهدموها غير تاركين فيها حجرًا على حجر. فصارت منذ ذاك الحين قاعًا صفصفًا لم يأوِ اليها الَّا بنات آوى وينعب فوقها الغربان. امَّا المتنصِّرون من بنيها فكانوا بوحي منهُ تعالى خرجوا من المدينة وعبروا الاردن وسكنوا بلدةً تدعى بلَّا (Pella) وكان لهؤلاء النصارى اسقف يرسمهم خلف يعقوب اخا الرب في تدبير شؤونهم. ولمَّا كان هؤلاء المتنصِّرون من

---

فيها كون العذراء مريم ام الله قال: «ولنا شاهد حقّ عن ذلك في الاب الاقدس ورئيس اساقفة المسكونة كلها ساسينوس بطريرك رومة العظمى»

Μάρτυρα παρέχομεν ἀξιόπιστον... τὸν ἁγιώτατον καὶ ἀρχιεπίσκοπον πάσης τῆς οἰκουμένης Πατέρα τε καὶ πατριάρχην Κελεστῖνον τὸν τῆς μεγαλοπόλεως Ῥώμης

(راجع اعمال اباء اليونان المجلد ٧٧ ص ١٠٢٦) وفي هذه الشهادة احسن ردّ على من نسبوا طمع الرئاسة الى الكرسي الرسولي

اصل يهودي حفظوا قسماً كبيراً من السنن الموسويَّة التي اعتادوها قبل تنصرهم فغلبت عليهم الشيع ومرقوا عن الدين المستقيم

وبقيت اورشليم في حالتها من الخراب حتى اعادها ادريانوس الملك الى عالم الوجود في اواسط القرن الثاني للمسيح وجعلها مستعمرة رومانية ودعاها ايليا (Ælia) فاسرع النصارى وتواردوا الى سكنى المدينة المقدسة. وكان اكثرهم من المتكلمين باليونانية فاتخذوا لهم اساقفة يتكلمون بلغتهم وجعل قطيعهم ينمو شيئاً فشيئاً وينحاز اليه قوم من المتكلمين بالسريانيَّة. لكنَّ هذا الكرسي بقي خاملاً مجهولاً تحت رئاسة كرسي قيسارية فلسطين الى ان قشع نور النصرانيَّة ظلام الوثنية وامتدَّ تعليم المسيح في كل الاقطار فاضحت اورشليم مطمحاً لنظر المؤمنين يحجُّون اليها من كلّ اوب لاسيما بعد ان وجدت فيها القديسة هيلانة صليب المسيح وذخائر آلامه وشيَّدت الكنائس الملكيَّة المعدودة من افخم المباني الدينيَّة. فصار لاساقفة اورشليم من جرَّاء ذلك شرف دونهُ شرف اصحاب الكنائس الكبرى. فرأى آباء المجمع النيقاوي ان يُثبتوا للقدس الشريف ما نالهُ في اعين النصرانيَّة من العزّ والفخر فجعلوا لصاحبه المحل الاول في الجامع بعد صاحبي الاسكندريَّة وانطاكية لكنهم لم يُحدثوا شيئاً في امر استقلاله وابقوهُ تحت ادارة كرسي قيسارية فلسطين

على انَّ هذه الحالة لم تدم زمناً طويلاً فحدث بين اساقفة اورشليم وقيسارية منازعات في الرئاسة ليس من شأننا ان نعدّدها في هذه الخلاصة. ربَّما زاد النفور وذات البين انَّ اشياع آريوس كانوا غلوا اصحاب كرسي قيسارية فاوقعوهم في حبائلهم فخصَّ منهم بالذكر اوسابيوس القيسري صاحب التاريخ وخلفهُ اقاقيوس. وكان على خلاف ذلك اساقفة اورشليم رجالاً ذوي فضل وفضيلة زيَّنوا عصرهم بمناقبهم الجليلة كالقديسين ماكاريوس (٣١٢) ومكسيموس (٣٣٠) وكيرلُّس (٣٥٠—٣٨٩) وكانوا يتأبَّون غيرةً صيانة وديعة الايمان ويناصبون اهل الضلال رغماً عمَّا لحق بهم من المحن والاضطهادات ولمَّا رأوا ان مطارنة قيسارية يشايعون الاريوسيين تصدَّوا لهم وطلبوا من آباء المجامع الخصوصيَّة التي عُقدت في القرن الرابع ان يطلقوا سراحهم فيكون كرسي اورشليم مستقلاً ليس لصاحب قيساريَّة عليه سلطة دينيَّة لاسيما ان اورشليم كرسي يعقوب اخي الرب واعظم مدن النصرانيَّة بآثرها القديمة

على ان هذه الاعتبارات كلها لم تفز بالمرغوب وبقي الكرسي الاورشليمي تحت حكم قيسارية حتى سُقّف بوفينال وتولّى زمام رعيّة القدس الشريف. وكان بوفينال رجلًا مقدامًا ذا سطوة ونفوذ لا يُحجم في سبيل مغانمه عن الوسائل التي يراها كافلةً بالنجح والفوز فيلتجئ الى التملُّق حينًا وحينًا الى الصلات والعطايا ويتقرّب تارةً الى الامراء والحكّام وطورًا الى اصحاب البدع. فلم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى حمل تاودوسيوس الملك على ان يحرّره من كرسي قيسارية ويجعله رئيس اساقفة على ثلاثة اقاليم فلسطين. غير ان مكسيموس بطريرك انطاكية اقام عليه الحجة وتعرّض له في سبيل مساعيه اما بوفينال فلم يكن ممّن ينكصون على الاعقاب فصانعهُ وداهنهُ وخاتلهُ وراوغهُ حتى نال رضاهُ بشرط ان يدع تحت حكم الكرسي الانطاكي اقليمي فينيقية والبلاد العربيّة. ولمّا كان المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ أحفى الآباء وبرّح بهم في الاحتجاج حتى صادقوا على تقديم كرسيه وجعلوهُ كرسيًا بطريركيًا مستقلًا عن انطاكية. لكن مكسيموس الانطاكي ندم على ما فرط منهُ وكتب الى الحبر الاعظم القديس لاون الكبير ليوقفهُ على حقيقة الامر. فما بلغ علم البابا هذا التفصيل حتى ابطل بحكمه السامي كلّ ما صار في المجمع بهذا الشان وامر بان يجري الكلّ على مقتضى قوانين مجمع نيقية واخذ على نوّابه في المجمع لمصادقتهم على مطامع بوفينال دون اطلاعه على ماجريات الامر

الّا ان بوفينال اصمّ سمعهُ دون اوامر البابا مستندًا الى رأي الاباء الذين رماهم في حبائله ولم يزل منذ ذاك الحين يتصرّف في اعماله تصرُّف البطاركة ويدّعي بحقوقهم وكذا فعل من بعده خلفاؤهُ على الكرسي الاورشليمي. امّا الاحبار الاعظمون فلم يقرّوا بقانونيّة هذا العمل وما فتئوا يعتبرون كرسي بيت المقدس كاحد الكراسي الشرفيّة التي ليس لها سلطان على سواها من الكنائس وجروا على ذلك الى ان عُقد المجمع المسكوني الثالث عشر وهو اللاتراني الرابع سنة ١٢١٥ فاصلحوا الفاسد وثقّفوا العوج ومنحوا حقوق البطريركية لصاحب بيت المقدس

*

( البطريركيّة القسطنطينيّة ) بينما كان اصحاب الكرسي الاورشليمي يسعون في حلّ ربقة قيسارية ويبرهنون عمّا لكنيستهم من الخواصّ لينالوا لها ضربًا من الاستقلال

ظهرت في بلاد ثراقية مدينة صُغرى استوقفت بموقعها انظار ملوك رومة فاتخذوها تختاً لملكهم. ألا وهي مدينة بوزنطية التي احتلّها قسطنطين الكبير وجعلها حاضرة مملكته التي اظفرهُ الله بها بعد قهر اعدائه. ولم يكُ قبل ذلك العهد مقام بوزنطية من حيث الدين اعظم من مقامها من حيث الرتبة المدنيَّة فاننا لا نرى صحَّة لما زعمهُ البعض انَّ القديس اندراوس بشَّر فيها بالانجيل وسقَّف عليها بعض تلامذته. وانَّما التاريخ الصادق لا يذكر لبوزنطية اسقفًا قبل مطروفانيس القديس الذي تولَّى رعاية هذه الكنيسة سنة ٣١٥ (راجع قول المسعودي في المشرق ٢١٩:٥) ولهذا السبب لم يورد آباء المجمع النيقاوي ذكرًا لصاحب الكرسي البوزنطي ولم يفرزهُ عمَّن سواهُ من الاساقفة وهو اذ ذاك تحت حكم رؤساء اساقفة هرقلة (Héraclée)

وكان دخول قسطنطين مدينة بوزنطية سنة ٣٢٩ م فما احتلَّ ربوعها حتى تغيَّرت احوال البلدة الخاملة وصارت بعد زمن قليل امّ المدن وعاصمة الدولة الرومانيَّة دون منازع فدُعيت لذلك رومية الجديدة. وكان خلفَ وقتئذٍ مطروفانسَ في كرسيه القديسُ اسكندر ثمَّ قام بعدهُ سنة ٣٤٢ القديس بولس الذي جاهد في سبيل الله وقاوم البدعة الاريوسيَّة فنقم عليهِ المبتدعون ونفوهُ مرارًا من كرسيه لاجل الايمان وحاولوا زرع الزوان في كرم الرب. وكان اكبر همّ هؤلاء الدخلاء ان يعظِّموا سلطتهم ويوسّعوا دائرة نفوذهم. وقام بعد القديس بولس اساقفة دونهُ قداسةً وصلاحًا بل أجراء يرعون انفسهم كما يقول حزقيال وينهبون قطيع الله منهم مقدونيوس الاراتيكي واودكسيوس وديموفيلوس المبتدع فلم يرضوا بان يكون كرسي القسطنطينيَّة دون الكراسي الرسوليَّة المجاورة لهُ كافسوس وازمير وقورنثوس وتسالونيقية وقيساريَّة. ومن ثمَّ افرغوا كنانة جهدهم في شق عصا الطاعة لهرقلة وصاحبها. وما اكتفوا بذلك حتى اعتلاهم التطاول فدفعهم الى تنكيس هذه المراكز وحطّ درجتها

وقد ساعدتهم على ذلك الظروف اذ وجدوا في بعض ارباب السلطة عضدًا وازرًا لترويج غاياتهم فاقنعوهم بان يجعلوا القسطنطينيَّة مركزًا للدين كما اتخذوها حاضرةً للمملكة. وقد وافقهم على ذلك خصوصاً الملكان الاريوسيَّان قسطنطيوس ووالنس رجاء ان يزيدا مقرّ السلطنة جاهًا وعظمةً فرخَّصا لاساقفة القسطنطينيَّة بان يلقبوا انفسهم باساقفة رومية الجديدة

وكان اساقفة المملكة لا يزالون يتردَّدون الى عاصمة الدولة ليعرضوا على الملك شؤون رعاياهم ويستمدُّوا منهُ النعم والهبات فكانوا اذا اعتاص عليهم الامر التجأوا الى شفاعة اساقفة القسطنطينيَّة وتوسَّلوا الى الملك بوسيلتهم فزاد على هذا النمط مقامهم وترفَّعت مرتبتهم واخذ كثيرون يستعطفونهم ويعظمونهم ويلقّبونهم بالألقاب الفخيمة لحاجتهم اليهم في تنفيذ امورهم الزمنيَّة

ومما اضاف الى مقام اساقفة القسطنطينيَّة رفعةً وشرفًا مجامع سنويَّة كانوا يعقدونها في مدينتهم تُدعى مجامع بلديَّة (συνόδοι ἐνδημοῦσαι) وهم يتصدَّرون فيها. ولمَّا كان عدد وافر من الاساقفة لا يزالون في هذه العاصمة لاشغالهم المدنيَّة كانوا يحضرون هذه المجامع فتزيد بحضورهم رتبة الاسقف المتقدم عليها

وكذلك كان ملوك القسطنطينيَّة يحوّلون الى اساقفة مدينتهم بعض الدعاوي الدينيَّة والمدنيَّة معًا ليحكموا فيها حكمًا فصلًا فيضطرّ الاساقفة الى مراجعتهم وقبول حكمهم وكلّ ذلك كان يجعل الكرسي القسطنطيني في منزلة خطيرة ويمهّد لاصحابه السبيل الى ان يطمحوا ببصرهم الى الرئاسة والتسلُّط

على ان هذا روح الطمع لم يعمل في قلوب بعض رجال الله كانوا اتخذوا الفضيلة دأبًا والتواضع ديدنًا كالقديسين العظيمين غريغوريوس النزيزي المعروف بالتاولوغس ويوحنَّا فم الذهب ويا حبَّذا لو حذا كثيرون من خلفائهما حذوهما في تواضعهما وتجرُّدهما عن التَّقشُّف

ومما ذلَّل لهم الصعاب انَّ آباء المجمع الثاني وهو القسطنطيني الاول سنة ٣٨٢ احبُّوا ان يعظموا الكرسي القسطنطيني ويزيدوا في مقامهِ تزلُّفًا لشخص الملك. ومن ثمَّ وضعوا في ذلك خمسة قوانين باغراء نكتاريوس خلف القديس غريغوريوس فمنحوا صاحب القسطنطينية امتيازات خارقة العادة لم تحزْ لهُ سابقًا. ولكنَّ هذه القوانين لم يثبتها الاحبار الرومانيون بل لم يعرفوها كما صرَّح بذلك القديس لاون الكبير في رسالتهِ الى اسقف القسطنطينيَّة اناطوليوس الذي استند اليها لتذكية نفسهِ لدى عظيم الاحبار في القرن الخامس فكتب اليهِ لاون: « اما قوانين المجمع القسطنطيني الخمسة التي اشرتَ اليها فان الكنيسة الرومانيَّة لم تطَّلع عليها ولم تمنحها وعليهِ فلا قوَّة لها لاثبات دعواك »

وكان قبل اناطوليوس جلس على كرسي القسطنطينية رجل آخر رذلت الكنيسة تعاليمهُ وقطعتهُ من شركتها ألا وهو نسطوريوس الاراتيكي فهذا كان سعى علانيةً في تحويل كرسيهِ الامتيازات والانعامات ليزيد بذلك استقلالاً ويبذر اضاليلهُ في القلوب دون ان يتصدَّى احدٌ لعملهِ الذميم

وهكذا بقيت احوال الكرسي القسطنطيني الى ايام المجمع الرابع المنعقد في خلقيدونية يحاول بعض اصحابهِ الترفُّع والفخفخة بينما كان غيرهم على خلاف ذلك لا يطلبون سوى مجدهِ تعالى وخير النفوس ولا يتعدُّون طورهم في الرئاسة يكتفون بما اكسبتهم الظروف من النفوذ والكلمة الراجحة. وقد اشتهر بعد يوحنا فم الذهب القديسون سيسينيوس وبروكلس وفلابيانوس وقد دار بينهم وبين الباباوات رسالات تشهد لهم بالفضل وتظهر اعتبار الكرسي الرسولي لاشخاصهم وفضائلهم وتشعر بان الاحبار الاعظمين صادقوا على بعض امتيازاتهم. وكذلك قد ذكر اصحاب سيرة القديس يوحنا فم الذهب اعمالاً تدلُّ على ان القديس قضى في شؤون بعض كنائس ثراقية وبُنطوس والاناضول وباشر فيها احكاماً شتى وسيطرةً ما ولكنَّهُ يرجَّح ان دعاوي هذه الكنائس رُفعت الى قضائهِ بارادة اصحابها الذين اختاروا القديس كحكم يفضّ مشاكلهم على نوع حبي

الَّا ان الخطوة العظمى التي خطاها اساقفة القسطنطينيَّة في ترويج مطامعهم انَّما كانت في آخر المجمع الرابع كما سبق القول. وذلك ان الاساقفة كانوا اجتمعوا في خلقيدونية سنة ٤٥١ وعددهم يقف على ٦٠٠ فحرموا اوطيخا ورذلوا قولهُ في انَّ للمسيح طبيعةً واحدة وشهدوا لرئاسة الكرسي الروماني شهادةً جليلة فانهم اذ سمعوا رسالة لاون الى آباء المجمع صرخوا بصوت واحد: «ان بطرس تكلم بفم لاون» ثم ارسلوا اعمال المجمع بعد انتهائهِ الى الحبر الروماني ليثبتهُ بسلطانهِ الاسمى (βεβαίωσίν τε καὶ συνκαταθέσιν)

الَّا ان مئتين من هؤلاء الاساقفة اجتمعوا يوماً على غير علم القصَّاد الرسوليين وبانفراد عن بقيَّة الآباء ووضعوا قانوناً لتقديم الكرسي القسطنطيني على الكرسيَّين الاسكندري والانطاكي مستندين في هذا العمل الى قانون المجمع السابق ذكرهُ الذي لم يصادق عليهِ الاحبار الرومانيُّون. فلمَّا علم القصَّاد الرسوليُّون بما جرى خفيةً وبعزلةٍ عن بقيَّة اعضاء المجمع

احتجوا على الاساقفة الذين اتوا بمثل هذا العمل المنافي لقوانين الجامع واخبروا البابا لاون بما حدث. فأبطل الحبر الروماني ما أُبرم في هذه الجلسة الخفيَّة من الاحكام لانهُ رآها مجحفةً بحقوق الكرسيَّين الاسكندري والانطاكي ومضادَّة للمجمع النيقاوي بل لام قصَّادهُ اذ تساهلوا فسمحوا لاناطوليوس ان يجلس في المجمع فوق صاحبي هذين الكرسيَّين وكتب للملك مرقيان وللقديسة بولخاريا قرينتهِ مشدِّدًا النكير على ما فعلهُ اناطوليوس واشياعهُ دون رضى الكرسي الرسولي (١. فاضطرَّ اناطوليوس الى ان يستميح عذرًا من لاون البابا ويزعم ما جرى في المجمع مدَّعيًا انَّ الامر صار بسعي قسم من الاكليروس دون مشيئتهِ (٢. ولذلك لم تدوَّن اعمال هذه الجلسة في اكثر نسخ اعمال المجمع الخلقيدوني ليس فقط في النسخ اللاتينيَّة بل ايضًا في النسخ اليونانية كنسخة يوحنَّا الانطاكي والنسخ العربيَّة كنسخة يوسف المصري فلا ترى في هذه النسخ البند الثامن والعشرين الذي خوَّل الكرسي القسطنطيني هذه الامتيازات الفريَّة المشتبه فيها (٣

امَّا خلفاء اناطوليوس فكانوا يتقلبون مع الرياح فمنهم من يرضى بحكم لاون فلا يتجاوز حدودهُ كجنَّاديوس القديس ومنهم من يستند الى الاعمال المزيَّفة التي سبق ذكرها كاقاقيوس الذي ناصب الكرسي الرسولي وضلَّ عن سواء السبيل ومات في غروره سنة ٤٨٨. ومنَّ استفواهم روح الطمع يوحنا المعروف بالصوَّام فانهُ شرع ان يلقب نفسهُ بالبطريرك المسكوني فكتب اليهِ القديس غريغوريوس الكبير يوبِّخهُ على استعمال مثل هذه الالقاب المشعرة بالجاه والتفخفخة بينما هو نائب المسيح وخلف هامة الرسل لا يسمي ذاتهُ سوى « عبد عبيد الله ». الَّا ان اصحاب القسطنطينية لم يكونوا ليضبطوا عنان طمعهم بل لم يزالوا يسعون في توسيع نطاق سلطتهم بما امكنهم من افانين الحيل في جهات إليريَّة والبلغار والصرب والروس. وكان اجباء الكنيسة مع ذلك يعاملونهم معاملة الاب الشفوق ويزاعون جانبهم ممتثلين بعمل الرب ( متى ١٢ :

---

١) راجع هذين الكتابين في مجموع الاباء اللاتينيين لمين ( في المجلد ٥٤ ص ١٠٠٠ و١٠٢٦ )

٢) مكتوب اناطوليوس في المجموع السابق ذكره ( ج ٥٤ ص ١٠٨٤ )

٣) راجع تاريخ الكنيسة لدولتر وتاريخ الجامع لفلي ( ج ٣ ص ١٢٢ )

٢٠٠) الذي لم يكسر القصبة المرضوضة ولم يطفئ الكتّان المدخن بل ربّما طالبوا عن حقوقهم امام الملوك ودافعوا عن المظلومين منهم كما فعل البابا نيقولا الاول بالقديس اغناطيوس لمّا غصب كرسيّهُ فوطيوس. وهذا التعطّف في ائمة الاحياء حملهم على ان يتسامحوا على تمادي الزمان بالرتبة البطريركية لاصحاب الكرسي القسطنطيني وجاء منهم ان يزيدوا تعلقاً بالوحدة ولا ينفصلوا عن حظيرة المسيح الواحدة وراعيها الواحد. ألا ان شيطان الشقاق غلب اخيرًا على بطاركة القسطنطينيّة فحاد بهم عن المناهج وقد هدى الله مع ذلك البعض منهم حيناً بعد حين فاقرّوا بسلطة الكنيسة الرومانية نخصّ منهم بالذكر ذلك الشيخ المفضال والبطريرك الجليل يوسف الثاني الذي مات في فلورنسة ميتة الابرار بعد أن اقرّ جهارًا بايمانهِ وصادق على كل تعاليم الكنيسة الرومانيّة هو واساقفتهُ اللهمّ الّا واحدًا منهم مرقس الافسي

وما قلناهُ عن الكرسي الاورشليمي والكرسي القسطنطيني يؤيدهُ كتبة العرب انفسهم فان المقريزي ( راجع المشرق ٥ : ٢٢٤ ) وابن حوقل (ص ٢٢٠) والاصطخري لم يذكروا القسطنطينيّة في جملة الكراسي البطريركية. والمسعودي (ص ٢١٨) وابن حوقل (ص ٢٢٠) يروبان ان كرسي بيت المقدس لم يكن من اركان النصرانية وانما احدثوهُ لتعظيم بيت المقدس

*

وهنا لا بُدّ ان نضيف ذيلًا الى ما سبق لتعريف هيئة البطريركيّات فاول ما ظهر منها البطريركيّة او الجاثليقيّة النسطوريّة لمّا انفصل اصحابها في القرن الخامس عن الكنيسة الكاثوليكيّة ونبذوا طاعة البطريرك الانطاكي الذي كان اسقف المدائن تحت حكمه

وفي هذا الجيل الخامس ظهرت البطريركيات اليعقوبيّة واولها البطريركيّة الاسكندريّة القبطيّة التي تنتمي الى ديوسقورس المبتدع. والثانية البطريركية السريانيّة الانطاكيّة وصاحبها ساويرس الدخيل . والثالثة البطريركيّة الارمنية التي خرجت عن وحدة الايمان سنة ٥٥٠ ( راجع المشرق ٣ : ٥٠ ) وجعلت كرسيّها بعد مدّةٍ في اچمياظين. ثمّ انقسمت هذه البطريركية الى خمس بطريركيّات وهي اچمياظين وأغتمار عند بحيرة وان ( ١١١٣ ) والقدس الشريف ( ١٣١١ ) وسيس في قيليقية (١٤٤١) والقسطنطينية ( ١٤٦١ )

وفي القرن السابع ظهرت البطريركية المارونية الانطاكية ( راجع سلسلة البطاركة الموارنة للدويهي في المشرق ١ : ٢٤٧ الخ )

ولمَّا رجع الملكيُّون والكلدان والسريان والارمن والقبط الى طاعة الكرسي الرسولي خصَّهم الاحبار الرومانيُّون بكراسي بطريركية فللملكيِّين والسريان انطاكية وللقبط الاسكندريَّة وللكلدان بابل وللارمن قيليقية

وكذلك للكنيسة الرومانية ثلاث بطريركيَّات شرفية وهي انطاكية والقدس والاسكندريَّة يرتقي عهدها الى ايام الصليبيِّين. الَّا ان كرسي القدس قد عاد اصحابهُ فتولَّوا ادارتهُ منذ خمسين سنة على عهد الطيِّب الذكر يوسف ثالركا

ولها اربع بطريركيات أخر صغرى الاولى في البندقية أُنشئت سنة ١٤٥١. والثانية في لشبونة أُنشئت سنة ١٧١٦. والثالثة في غوا من الهند الشرقية منشأُها سنة ١٨٨٦. والرابعة في طليطلة أُنشئت حديثاً للهند الغربية سنة ١٨٩٨

وقد وجد في الكنيسة الكاثوليكيَّة مدةً بعضُ بطاركة كبطرك اكريلية في القرن الثامن وبطرك الحبش في القرن السادس عشر. وكذلك في الكنائس المنفصلة بطركيَّة ايك (Ipek) وذلك من سنة ١٣٥١ الى سنة ١٧٦٥ حيث أُلغيت بساعي بطريرك الفنار وبطركية كولوثيتس أُنشئت سنة ١٨٤٨ في النمسا

فممَّا تقدم ترى ان البطريركية ليست رتبة الهية وانَّما الكنيسة انشأتها وتصرَّفت فيها كيف شاءت ولذلك ترى عدد البطريركيات في الكنيسة الكاثوليكية وحدها تناهز العشرين نال اصحابها من فضل الاحبار الرومانيِّين هذه المنزلة الرفيعة والمقام الجليل. وفي مقالة أُخرى نبيِّن ان شاء الله ما هي حقوق البطريركيَّات وامتيازاتها مع بيان سلسلة اصحابها ( ستأتي البقيَّة )

# المالية العثمانية

للاديب يوسف افندي ف. ضاهر

بين ماليَّات الدول التي تستوقف النظر في تحسنها السريع نعدُّ ماليَّة الدولة العلية التي توصَّلت في مدَّة عشرين سنة الى درجة من اليسر يرتاح اليها الوطنيُّ الصادق